



تاريخ الاستلام: 2025/05/11. تاريخ القبول: 2025/07/17.

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى استعراض الاستراتيجيات العسكرية النوميديّة من خلال دراسة نموذجية لثورة تাকفاريناس، بوصفها انتفاضة. غير أنها ما لبثت أن تحولت إلى حركة مقاومة منظمّة تحت قيادته. كما تسعى أيضا إلى تحليل الاستراتيجيات العسكرية التي ردت بها روما على ثورة تাকفاريناس، من خلال تتبع مضامين حوليات المؤرخ الروماني "تاكيتوس"، باعتباره المصدر الكتابي الوحيد الذي تناول هذه الحرب بتفصيل نسبي.

يهدف هذا التحليل إلى إبراز الجوانب الاستراتيجية والعسكرية في كلا الجانبين.

الكلمات المفتاحية: تاكفاريناس، استراتيجية، ثورة، نوميديا، تكتيك.

Abstract:

This research paper aims to examine the Numidian military strategies through a case study of Tacfarinas' revolt, which began as an uprising before evolving into an organized resistance under his leadership. It also seeks to analyze the military strategies adopted by Rome in response to the revolt, by tracing the content of the Annals of the Roman historian Tacitus, considered the only literary source that provides a relatively detailed account of this war.

This analysis aims to highlight the strategic and military aspects on both sides).

Keywords : Tacfarinas; Numidia ; strategy; Tacitus; revolt, Tactic.

ثورة تাকفاريناس (17-24م) بين المقاومة والتنظيم العسكري:
(قراءة في الاستراتيجيات العسكرية النوميديّة من خلال حوليات تاكيتوس)

The Revolt of Tacfarinas (17-24 AD) Between Resistance and Military Organization: (A Reading of Numidian Strategies Through Tacitus' Narratives)

حسينة حلاق / جامعة قسنطينة 02

(الجزائر)

hassina.hallak@univ-constantine2.dz

المؤلف المرسل:



مقدمة:

لا تبدو ثورة تاكفاريناس مجرد انتفاضة عابرة ضمن فصول المواجهات العسكرية المتكررة بين القبائل النوميديّة الاحتلال الروماني، بل تمثل مشروع ثورة شاملة بمعناها التاريخي والسياسي الكامل، باعتبارها رفضاً جذرياً للسياسة الرومانية، ويتجلى طابعها الثوري في اتساع نطاقها الجغرافي وتنوع القوى القبليّة المشاركة فيها؛ إذ لم تقتصر على مجال إقليمي ضيق، بل امتدت لتشمل رقعة شاسعة من نوميديا، جمعت تحت رايتها قبائل مختلفة، من الموريطنانيين في الغرب، إلى الكنثيين في الشرق، وصولاً إلى الجرامنتيين في أقصى الجنوب، بإقليم فزان.

وتعد هذه الثورة، من حيث امتدادها الزمني (17-24م.) وتنظيمها المحكم، نموذجاً مميزاً للمقاومة العسكريّة بإفريقيا ضدّ الاحتلال الروماني.

سبقت ثورة تاكفاريناس عدّة انتفاضات كبرى، لعلّ أبرزها "حرب يوغرطة". غير أن ثورة تاكفاريناس التي قامت بمنطقة أمبوريا (السّهوب)، تميّزت بطابعها الشّعبي وتنظيمها العسكري، وبالتكتل القبلي حول شخصية قائدها. فقد استطاع تاكفاريناس، بفضل خبرته العسكريّة السّابقة كجندي في الجيش الروماني، أن يتحوّل إلى زعيم قبلي، حشد حوله مختلف القبائل الرافضة للاحتلال الروماني، وقد استفاد من تجربته العسكريّة والقتالية في بناء خطاب تحريضي يركّز على الدّفاع عن الأرض والانتماء، وهما من أبرز المرتكزات التي استعملها لاستمالة واستقطاب القبائل الرّحل، المتشبهين بأسلوب حياتهم القائم على التّرحال، والمعارضين للسياسة الاقتصاديّة الرومانية، التي فرضتها روما قسراً، وقيّدت من خلالها حرّية تنقلهم وأثّرت بشكل مباشر على نمط عيشهم التقليدي.

إشكالية الدّراسة:

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى طرح جملة من التّساؤلات الجوهرية حول ماهية الثورة وحيثياتها: ظروفها وسياقها التاريخي. كما نهدف إلى تحليل طبيعة الاستراتيجيّة العسكريّة التي تبناها القائد الموزولامي تاكفاريناس في مقاومته للرومان، مع التّساؤل عن مدى تعبير رواية تاكيتوس في حواريته عن وعي الرومان بحجم التّهديد الذي تشكّله القبائل النّوميديّة على مصالحها في جنوب نوميديا؟

المنهج المتّبع:

استندت دراستنا على المنهج التحليلي التّقدي في معالجة الإشكالية المطروحة، وذلك من خلال قراءة تحليلية نقدية لرواية تاكيتوس، الذي يعدّ المصدر الكتابي الوحيد الذي قدّم تفصيلاً دقيقاً عن الثورة، كما وردت في كتابه "الحوليات" (Annales). وقد قُسمت الدّراسة إلى ثلاث مراحل رئيسية، تُوازي المراحل الزّمنية



لتطوّر الحرب كما وردت في المصدر بهدف: تتبع تطوّر العمليات العسكرية من جهة، وتحليل الخطط العسكرية التي تبناها تكفاريناس في مواجهته للرومان من جهة أخرى، إلى جانب التعرف على الظروف المحيطة بالطرفين خاصة تلك المتعلقة بالبيئة الجغرافية، التي استغلها القائد النوميدي بذكاء لخدمة استراتيجيته القتالية. يرتكز عملنا على حوليات المؤرخ الروماني بوبليوس كورنيليوس تاكيتوس (Publius Cornelius Tacitus) (58-120م)، ليس فقط باعتباره المصدر الوحيد الذي وثّق مجريات ثورة تكفاريناس، بل أيضا لفهم كيف استخدم المؤرخ الروماني الكتابة التاريخية لنقد السياسة الرومانية في إفريقيا، والتشكيك في مدى نجاح مشروعها الإمبراطوري المتمثل في السلم الروماني (Pax Romana).

1. أسباب الحرب:

أهمّل تاكيتوس التوقف عند تفاصيل مجريات الحرب التي خاضها تكفاريناس ضدّ الرومان بجنوب نوميديا، رغم امتدادها الزمني لسبع سنوات، فقد اكتفى بعرض عامّ، دون أن يميز بوضوح الأسباب الحقيقية للصراع والدّرائع المباشرة التي أشعلت فتيل الحرب. ويعزى هذا القصور إلى اعتماده على مصادر محدودة في تقصي المعلومات المتمثلة في محاضر مجلس الشيوخ (Acta Senatus)، وهي وثائق رسمية تُعنى بالتاريخ الداخلي لروما، وتقتصر على تمجيد تاريخها، الذي ينظر إليه دائما من خلال "السّبريا- رومانا" (Superbia Romana)؛ أيّ الكبرياء والفخر الروماني تجاه تاريخهم، باعتباره النموذج المثالي للمدنية والقوة. في المقابل، تُغيب هذه الوثائق كلّ التفاصيل والأحداث المرتبطة بالمقاطعات التابعة لها، التي تعدّ من منظورها مجرد وقائع عابرة، وتُنظر إليها بنظرة ازدراء ودونية أو "انفيدوم" (Infidum)¹.

إن غياب هذا الجزء المهمّ من التفاصيل في رواية تاكيتوس دفع الباحثين إلى تبني مواقف مختلفة ومتناقضة في تحليل طبيعة هذه الحرب، ممّا أدّى إلى ظهور ثلاث قراءات رئيسية حول أسباب هذا الصراع: تندرج القراءة الأولى ضمن ما يعرف بـ "نظرية الصّدام الحضاري"، حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الصراع بين تكفاريناس وروما كان نتيجة لتصادم عميق بين نمطين حضاريين متباينين: من جهة، النموذج الروماني القائم على الاستيطان والنظام الإداري، ومن جهة أخرى، أسلوب حياة القبائل الرّحل المعتمد على حرية التنقل. وقد تبني هذا الطّرح عدد من الباحثين، من بينهم: بيترو رومانيلي (P. Romanelli) ومارتن بيرسيفال تشارلزورث (M.P. Charlesorth)، وبيكار (G. Picard)².

في المقابل، يرى أنصار النظرية الثّانية أن الدّافع الأساسي للحرب يعود إلى الصراع حول السيطرة على الأراضي الزراعيّة، حيث برز تناقض واضح بين نمط الحياة المستقرّ القائم على الزراعة، والذي مثله المستوطنون الإيطاليون، ونمط الحياة شبه البدوي الذي جمع بين الرعي والزراعة لدى القبائل الموزولامية، وقد



وجدت هذه القبائل نفسها في مواجهة ضغوط توسعية وجشع المستوطنين للاستيلاء على أراضيها الخصبة، ما أدى إلى تفجر الصّراع. ومن أبرز المدافعين عن هذا الطّرح نذكر: هايود (R.M.Hayood)، "البينو غارزتي" (A.Garzetti)، "مارغريت راشي" (M.Rachet) و"بول بيتي" (P.Petit). غير أن الأبحاث الحديثة ترفض هذا التفسير، خصوصا مع ثبوت أن منطقة أمبوريا لم تعرف أي شكل من أشكال الاستيطان إلا مع الفترة الفلافية³.

وعلى خلاف النظريتين السابقتين، يقدم أنصار النظرية الثالثة، وفي مقدمتهم الباحث "غيزا ألفولدي" (G.Alfoldy)، تفسيراً مختلفاً يقوم على اعتبار سبب قيام الحرب كان نتيجة لتوقف سياسة الرومنة في المنطقة، وضعف الإدارة الإقليمية التي افتقرت إلى المبادرة والحزم، ممّا أدى إلى نفاذ صبر قبائل الموزولامية (Musulames) والكينثية (Cinithiens)، التي كانت قد أخضعت جزئياً للسلطة الرومانية، ويذكر أن تكفاريناس نفسه خدم في صفوف القوّات المساعدة الرومانية قبل انشاققه⁴.

غير أن التفسير الأقرب إلى الواقع – في نظر الباحثين – يربط سبب قيام الحرب بالأهمية الاستراتيجية للطريق العابر للسّهوب الجنوبية لإفريقيا، الذي أنشأ تحت إشراف الحاكم الروماني لوكيوس نونيوس أبرونيوس (Novius Apronius). فرغم أن هذه المناطق كانت خاضعة رسمياً للإدارة الرومانية، إلا أنها شهدت استيطاناً بشرياً موسعاً، وقد بدأ توزيع الأراضي فيها فعلياً نحو سنة 29-30 م.، وكان هذا الطريق يربط بين ثيفست (Theveste)، كابسا (Capsa)، وأميدار (حيدرة) (Ammaedra)، حيث مقر تمرکز الفيلق الثالث الأوغسطي، وقد تمّ إنجازه بإشراف مباشر من الإمبراطور أغسطس، ضمن مشروع ترسيم حدود الإمبراطورية، وهو المشروع الذي اكتمل مع نهاية عهده أي 14 م⁵.

يرى جون ماري لاسير (J.M.Lassère)، من خلال دراسته للطريق العسكري الروماني العابر للسّهوب، أن افتتاح هذا الطريق تزامن مع انطلاق الانتفاضة، ويعد في نظره الشرارة المباشرة التي فجّرت التمرد، بعيداً عن أيّ بعد إصلاحي ضمن السياسة الرومانية في المنطقة، فقد شكل الطريق ممراً حيوياً لتحركات الجنود الرومان بين الشتوية (Hiberna Castra) خاصّة في أميدار، ما أتاح تأمين دوريات منتظمة على المحاور الرابطة بين قفصة وقابس. وهو ما أدى إلى عزل القبائل المستقرّة عن ممراتها التقليدية وتعطيل حركتها وتنقلها، ما شكّل اعتداءً واضحاً على نمط عيشها القائم على التنقل الموسمي والرعي، وهو ما لم يكن مقبولاً في نظر هذه القبائل المتشبّثة بأسلوبها التقليدي في الحياة⁶.

ويضاف إلى هذا السبب المرتبط بالنزاع الطّرقي (Conflit Routier)، سبب اجتماعي عبّر عنه تكفاريناس في رسالته التي وجهها إلى الإمبراطور تربيوس، طالباً فيها قطعة أرض يستقرّ فيها وقبيلته، كاحتجاج صريح على حياة التهميش التي كانت تعيشها قبائل الموزولامي، والتي وجدت نفسها على هامش النظام الروماني، ويكشف لنا



هذا الطّلب، في بعده عن رغبة تلك القبائل في إيجاد اعتراف بوجودها واحتياجاتها ضمن الإطار الروماني، بدلا من الإقصاء المستمر⁷. بدأت الحرب تزامنا مع انتهاء بناء الطريق الاستراتيجي الأمر الذي اعتبرته القبائل المحلية تهديدا مباشرا لها، ولعلّ بروز شخصية تكفاريناس كان لها دورا حاسما في تحويل هذا التمرد إلى انتفاضة وثورة منظّمة امتدت عبر مراحل.

2. أطراف الصّراع:

1.2. الطّرف الروماني:

يتمثل الطّرف الروماني في: الإمبراطور تيربوس (Tiberius Claudius Nero) (14م.-37م.)، الذي تميّز موقفه بنوع من التّحفظ والتّردد، إذ نادرا ما تدخل بشكل مباشر في سير العمليات العسكرية، ومع ذلك، فإن تدخلاته المحدودة كانت ذات دلالة، وقد اعتبر بعض الباحثين أن الإمبراطور تعمّد ترك الوضع يتأزم ميدانيا لإبراز ضعف كفاءة القادة العسكريين، الذين كانوا في الغالب مقربين من مجلس الشيوخ، ممّا يعكس صراعا ضمينا بين السّلطة الإمبراطورية والنّخبة السّيناتورية⁸.

أمّا الطّرف الثّاني في الصّراع فيتمثل في الحكام الرومان لإفريقيا (البروقناصل)، الذين تعاقبوا على إدارة الحرب، وهم على التّوالي: فوربوس كاميليوس (Furius Camillus) (17-18م.)، لوكيوس أبرونيوس (L. Apronius) (18-21م.)، أنيوس بلاسوس (Iunius Blaesus) (21-23م.)، وأخيرا كورنيليوس دولابيللا (P. Cornelius Dolabella) (23-24م.) الذي نجح في وضع حد نهائي للثّورة. إلى جانب هؤلاء، برز خمسة أشخاص فاعلين عسكريين من الجيش الروماني، حسب التسلسل الزّمني للثّورة وهم: دوكيوس (Decirus): قائد الفرقة العسكرية، روفوس هالفوس (Rufus Halvius)، وهو جندي بسيط من الفرقة الخامسة للجنود القدامى (Veterani)، لوكيوس أبرونيوس (Lecius Apronius Caesianus): ابن البروقنصل أبرونيوس، ابن البروقنصل أنيوس بلاسوس: بوليوس كورنيليوس لنتولوس سكيبيو (Publius Cornelius Lentulus Scipion) وكان مساعد لأنيوس بلاسوس. وقد لعب كلّ واحد من هؤلاء أدوارا متفاوتة في سير المعارك وتنفيذ الاستراتيجيات الميدانية⁹.

يتمثل الطّرف الثّالث في هذا الصّراع في الفيالق الرومانية، على رأسها الفيلق الثّالث الأوغسطي (Légion III Auguste) الذي تمركز بشكل دائم في إفريقيا، وكان له دور محوري في مواجهة الثّورة إلى جانبه، شارك الفيلق الثّاسع الإسباني (IX Hispana) الذي كان متمركزا في بانونيا¹⁰ (Pannonia) بين سنتي 20-23 م بقيادة كورنيليوس لونتيليس سكيبيو، هذا الأخير غادر بانونيا متّجها إلى روما، ومن ثمّ أرسل إلى إفريقيا للمشاركة في العمليات العسكرية¹¹. وتشير بعض الدّراسات إلى أن وحدات أخرى نقلت لاحقا، من بينها كتيبة



اللّوزيتانيين (Cohors Lusitanorum) التي كانت متمركزة في سردينيا منذ نهاية القرن 1م، وبقيت في إفريقيا بعد نهاية التّمرّد واتّخذت من ميلاف مقرا لها¹².

2.2. الطّرف النّوميدي:

أمّا بالنّسبة للطّرف النّوميدي، فقد مثله جيش تكفاريناس، وقد اشتبه بعض الرّومان في تواطؤ شخصيات رومانية معه، وقد أورد تاكيتوس في هذا الصّدّد اسمين هما: كارسيدوس ساكيردوس (Carsidius Sacerdos) وكايوس غراكوس (C. Grachus)، حيث يذكر أنهما قدما المؤن لتكفاريناس، غير أنهما تم تبرئتهما لاحقا بعد نهاية المحاكمة. وما هو يؤكّد أن تكفاريناس حظي بدعم مجموعة من الحلفاء، أبرزهم من قبائل الموزولام، لا سيما سكان ثالا (Thalla)، الذين أشار إليهم تاكيتوس باسم "السّوكي" (Socii)، أي: "الحلفاء" أو "المتعاونين"، وكانوا يشكلون جزءا من القوّات الحليفة لروما في إطار "معاهدة فوديس"¹³ (Foedus)، ما يدل أن الموزولام لم يكونوا موحدين تماما خلف تكفاريناس، إضافة إلى ذلك، تشير رواية تاكيتوس أن هناك عناصر أخرى المتمثلة في العناصر المورية التي اتّخذت موقفا متذبذبا؛ إذ كانت في البداية معادية لتكفاريناس ومتحالفة مع يوبا الثّاني، غير أنها غيّرت موقفها لاحقا في عهد ابنه بطليموس، حيث ثارت عليه وانضمّت إلى صفوف المعارضين للسلطة الرّومانية¹⁴.

تشكل جيش تكفاريناس من تحالف قبلي واسع، قاداته قبائل الموزولام، الذين صنفهم تاكيتوس ضمن النّوميديين، رغم أن أصولهم تعود إلى الجيتول، وقد انضمت إلى هذا التّحالف قبائل مورية، كانت في البداية تحت قيادة مازيبا (Mazippa) ومن بعده بطليموس الذين رفضوا الاعتراف به ملكا عليهم، وتمردوا عليه وانضموا إلى جيش تكفاريناس، وشمل هذا التّحالف أيضا قبائل الكنثيين والجرامنت والجيتول¹⁵.

تكونت جيوش تكفاريناس من قوّات خفيفة تعتمد في قتالها على الأساليب التّقليدية، خاصّة تلك التي كانت تحت قيادة مازيبا. أمّا العناصر الكينثية، فلا يمكن الجزم بأن تكفاريناس تمكن من حشدها جميعا سنة 17م، غير أن ما هو مؤكّد أنه بعد سنة 18م، اختفى حضورها تقريبا، كما تراجع عدد الموزولام، ويبدو أن انضمام الكينثيين لم يكن طوعية، بل بفعل الإكراه، وبالنّسبة للعناصر المورية، فقد تميز موقفها كما أشرنا بالتذبذب، إذ بقي جزء منها مواليا ليوبا الثّاني، غير أنّ بعضها انضمّ لاحقا إلى تكفاريناس في السّنة الأخيرة من الحرب، بعدما تمردت على ملكها بطليموس. كذلك، وافق ملك الجرامنت على مساعدة تكفاريناس، وأرسل إليه وحدات خفيفة سنة 24م، كما انضمّ في مرحلته الأخيرة عدد من الفقراء والمشاعبين، لا نعرف عددهم بدقة، إلا أن تاكيتوس يسعى، بشكل واضح لتقليل من شأنهم¹⁶.

3.2. شخصية تكفاريناس:



لم تردّ معلومات وافية عن شخصية تاكفاريناس في المصادر التاريخية الإغريقية أو الرومانية، باستثناء ما أورده المؤرخ الروماني تاكيتوس، الذي لم يُفرد له حيّزاً كبيراً في روايته، ولم يُقدّم تفاصيل دقيقة بشأن أصوله الاجتماعية أو مسيرته الشخصية. فقد اقتصر وصفه على بعض الخصائص العسكرية التي ميزت نشاطه، دون أن يمنحه أيّ بُعد بطولي؛ بل صوّره كمنشق سابق، وقاطع طريق، وتمرّد خطر¹⁷.

تشير بعض الإشارات إلى أنّ تاكفاريناس كان نوميدياً ينتمي إلى قبيلة الموزولامي (Musulamii)، ومن المحتمل أن يكون قد وُلد ضمن أسرة ذات تقاليد قيادية. ويُجمع المؤرخون على أنّه خدم ضمن الوحدات المساعدة (auxilia) في الجيش الروماني، وهو ما مكّنه من اكتساب خبرة قتالية وتنظيمية مهمّة¹⁸، ويلاحظ أنّ تاكيتوس استعمل عبارة (mox) أيّ "قريباً" أو "بعد فترة قصيرة" عند الإشارة إلى خدمته العسكرية، ممّا يدلّ على أن تاكفاريناس لم يخدم طويلاً في صفوف الجيش. بل انشق مبكراً، ليتزعم مجموعة من المسلّحين الذين يُرجّح أنهم كانوا مثله من الفارين من الجيش الروماني، وبناءً على هذا التّصوّر، فإنّ ظاهرة الفرار الجماعي بعد سنة 10 م. كانت نتيجة لتقليص عدد القوّات المساعدة التي لم تعد الدّولة الرومانية بحاجة إليها، فوجد هؤلاء أنفسهم خارج الأطر القانونية، وتحوّلوا إلى متمرّدين خارجين عن السّلطة¹⁹.

ورغم أن كثيراً من هؤلاء الفارين شاركوا في الثّورة، فإن تاكيتوس لم يخصّ بالذّكر سوى تاكفاريناس، في دلالة على اهتمامه بإبراز "الرّعيم" دون الالتفات إلى بقية العناصر. وقد يكون هذا الإغفال متعمّداً من طرفه، يعكس نظرة النّخبة الرومانية إلى أولئك الذين لا ينتمون إلى طبقة الشّرفاء أو النّخبة العسكرية²⁰. وتشير بعض الدّراسات أن تاكيتوس أراد بهذا الوصف التّركيز على الطّابع التّنظيمي المحكم لجيش تاكفاريناس، الذي كان يُقاتل وفق التكتيك الروماني: تشكيلات عسكرية، رايات، وحدات منظمّة. ما يوحي بأنّ نواة جيشه كانت مكوّنة من فرسان مدرّبين، وربّما كان هو نفسه أحد أفراد سلاح الفرسان قبل انشقاقه. ويُحتمل كذلك أنه أنشأ وحدات مشاة، مع أن التّركيز الأساسي كان على سلاح الفرسان باعتباره الأكثر فاعلية في المناطق الدّاخلية لنوميديا²¹.

3. الاستراتيجيات والتكتيكات العسكرية النوميديّة – الرومانية:

1.3. الإستراتيجية النوميديّة بقيادة تكفاريناس:

أ. المرحلة الأولى 17 م:

تميزت الثّورة في مرحلتها الأولى بتنظيم محكم وباعتماد تكتيكات عسكريّة تعكس لنا تطوّراً ملحوظاً في فنون القتال لدى النّوميد، حيث نجح تكفاريناس في الدّمج بين خبرته العسكريّة التي اكتسبها أثناء خدمته في صفوف



الجيش الروماني، وبين أساليب حرب العصابات التقليدية المعروفة لدى القبائل النوميديّة، التي تتلاءم مع الطّبيعة الوعرة للمنطقة، وقد لخص تاكيتوس هذه الأساليب كما يلي:

أولاً: القدرة على تنظيم قوّته وتحويلها من عصابة إلى جيش منظم، فبعد فرار تكفاريناس من صفوف الجيش الروماني حيث خدم ضمن الوحدات المساعدة (Auxiliare)، قام بجمع اللصوص والمتشردين (Latrones, Vagabundi) من حوله، غير أنه سرعان ما درّبهم على النظام في شكل فرق ووحدات قتالية تحت رايته (Dignum) الموحدة، مستنداً في ذلك على الأسلوب الروماني²².

ثانياً: توزيع القوّات العسكريّة؛ إذ قسم تكفاريناس جيشه إلى قسمين، الوحدات الخفيفة (Levis armatura) تحت قيادة مازيبا (Mazippa)، وكانت مهمتها التنقل السريع عبر المناطق وتنفيذ عمليات مباغته مثل القتل وبث الرعب في أماكن تركز القوّات الرومانية. أمّا الجيش النظامي (Exercitus regularis) فكان تحت قيادته المباشرة، وقد خضع لتدريب يعتمد على الأساليب الرومانية وعلى الطّاعة والانضباط²³.

ثالثاً: اعتماد استراتيجيّة الكرّ والفرّ؛ حيث اتبع تكفاريناس أسلوباً حربياً يقوم على الهجوم المباغتة (fuga simulata)، لإثارة اضطراب العدو ثم التراجع بسرعة نحو معاقل طبيعية وعرة، وقد اعتمد على المعارك المباغتة والمفاجئة (Proelia repentina)، وهو أسلوب اعتمده طوال فترة الحرب، الذي نجح في إرباك القوّات الرومانية التي كانت معتادة على خوض المعارك في أماكن مفتوحة ومكشوفة²⁴.

رابعاً: الاعتماد على التضاريس؛ فقد اتخذ تكفاريناس من جبال المنطقة (الأوراس) والصّحراء قاعدة لانطلاق عملياته العسكريّة، مستفيداً في ذلك من المسالك الوعرة (Locus Asper)، ممّا صعّب على القوّات الرومانية إيصال الإمدادات²⁵.

خامساً: الاعتماد على القبائل والمقدرة على تكوين تحالفات قبلية؛ إذ حظي بدعم من قبيلته الموزولام، فقد وسّع تحالفه نحو القبائل المجاورة الكنثيين والموريين والجرامنت مشكّلاً تكتلاً وتحالفاً قبلياً (Foedus Tribale) عسكرياً حوله²⁶.

سادساً: تبني سياسة التّخويف والتّرهيب؛ حيث ركّزت قوّات تكفاريناس في تحركاتها على بثّ الرعب في نفوس سكان المدن والمزارع الرومانية، من خلال عمليات الحرق والقتل، وقد تولى قيادة هذا النوع من العمليات مازيبا، الذي كان يشرف على تنفيذها بهدف زعزعة الاستقرار وإضعاف معنويات الجيش الروماني²⁷.

سادساً: التراجع والانسحاب خلال القتال؛ حيث لجأ تكفاريناس إلى الانسحاب التكتيكي في عدّة مواضع بهدف استدراج القوّات الرومانية وتشتيتها (انسحاب وهي: Recessus Simulatus)، ثم يعاود الهجوم المباغت مجدداً، وهي من الحيل التي أربكت الخطط الرومانية المعتمدة على المواجهات المباشرة²⁸.



سابعاً: التّحفيز عن طريق الغنائم؛ إذ استغل تكفاريناس عامل الغنيمة (Praeda) لكسب ولاء المقاتلين وتحفيزهم، كما شكلت وسيلة فعالة لاستمالة القبائل الأخرى، من خلال تقوية الرّوابط القبليّة، وتعزيز الانخراط في المعارك ضدّ الرّومان²⁹.

ثامناً: تبني أسلوب الحوار والمفاوضات؛ إذ أرسل تكفاريناس وفداً (Legatio) إلى الإمبراطور تيريوس يعرض فيه خيارين: إما إعادة الأراضي التي سلبت من أصحابها، أو الاستمرار في الحرب. ويبرز هذا الموقف الحنكة السّياسيّة لتكفاريناس وقدرته على المناورة، ما يعكس استيعابه لأدوات الصّراع السّياسيّ إلى جانب المواجهة العسكريّة³⁰.

أ. المرحلة الثّانية: 20-21م.

أولاً: استئناف الحرب بعد الهزيمة والتّدرج في الهجوم؛ حيث استعاد تكفاريناس أنفاسه بعد الهزيمة الأولى على يد فريوس كاميليوس متبنياً أسلوب الكرّ والفرّ والمباغطة إلى جانب حرب العصابات (Bellum Raptim Gestum) بمهاجمة التّجمعات الرّيفيّة والمواقع الرّومانيّة المحصّنة، وفرض الحصار على القوّات الرّومانيّة قرب نهر باغيدا (Pagida) وهو تصعيد واضح من طرق تكفاريناس وقوّته³¹.

ثانياً: العودة إلى أسلوب الانسحاب التّكتيكي؛ لاسيّما بعد حصاره بثالّة، حيث فضّل الانسحاب والابتعاد عن المواجهة المباشرة، مستهدفاً إنهك العدو وإرهاقه، وعدم تمكينه من مجاراته في تضاريس المنطقة وظروفها المناخيّة القاسية³².

المرحلة الثّالثة: نهاية الحرب 21-23م.

أولاً: توسيع سياسة التّحالفات ونشر الدّعاية مفادها أن القوّات الرّومانيّة أنهكت على يد أمم أخرى، وبدأت في الانسحاب تدريجياً من إفريقيا، كما اعتمد تكفاريناس على الجانب النّفسي من خلال نشر الإشاعات بهدف زعزعة الثّقة، وتحفيز القبائل على الانضمام للحرب. كما كسب في هذه المرحلة أحلاف جديدة تتمثّل في المور الذين تمردوا على حكم بطليموس، ونال دعماً مباشراً من ملك الغرامنت الذي أمده بفرق خفيفة³³.

ثانياً: الهجوم على المواقع الرّومانيّة الثّابتة، بمجرد نزول تكفاريناس أمام حصن توبوسك قام بمحاصرتها، معتمداً على أسلوب الكرّ والفرّ، والسّيطرة على المدن الثّابتة، كما اجتمعت قوّاته أيضاً على أنقاض حصن اوزيا (Auzéa) الذين كانوا قد دمروه سابقاً، معتمدين في ذلك على حصانة الموقع الطّبيعي المحاط بالغابات. غير أن هذا الانتصار لم يدم طويلاً بسبب هجوم مفاجئ من طرف الرّومان، الذي اغتنموا فرصة نوم الفرسان التّوميد، ما أدّى إلى انهيار قوّات تكفاريناس، من قتل حراسه وأسر ابنه في حين انتهى مصيره بالقتل³⁴.

2.3. الاستراتيجيّة العسكريّة الرّومانيّة ضدّ ثورة تكفاريناس:



اتّبعَت روما في حربها ضدّ تكفاريناس خلال المرحلة الأولى أسلوباً عسكرياً منظّماً، تمثل في عدّة جوانب استراتيجية تهدف إلى احتواء المتمردين وتحقيق التّفوق العسكري أبرزها:

أولاً: الاعتماد على الفيالق العسكرية؛ حيث جنّدت روما في هذه الحرب الفيلق العسكري المتمثّل في الفرقة الأوغسطية (Legio III Augusta)، الذي كان متمركزاً في أميدار، وهي إحدى المواقع الاستراتيجية لها في إفريقيا، تمّ دعم هذا الفيلق لوحدة مساعدة³⁵.

ثانياً: بناء التّحصينات الدّفاعية؛ ركّزت روما على بناء تحصينات دفاعية قوية لحماية حدودها، حيث تمّ إقامة سلسلة من الحصون والقلاع (Castella) والمخافر المرتبطة بشبكة الطّرق (Viae Militares) خاصّة في منطقتي الأوراس وفزان. تهدف هذه التّحصينات إلى الحد من تحركات القبائل والجيش وتقييدهم، من خلال تأمين المواقع الاستراتيجية ومراقبة الحدود بشكل فعّال. وقد ساهم هذا النّظام الدّفاعي في عزل القبائل، وتقليل القدرة على تحركهم³⁶.

ثالثاً: توزيع المهام؛ قام قادة الجيش الرّوماني مثل دولابيللا وبلايسوس بتقسيم قواتهم إلى ثلاث جهات (Tripartita Instructio) من أجل أحكام السّيطرة على مناطق الصّراع، ومحاصرة قوّات تكفاريناس وتضييق الخناق عليه³⁷.

رابعاً: الرّد على حرب العصابات؛ نظّمت روما للرّد على حرب العصابات، وحدات عسكرية خفيفة (Expeditae Cohortes) من أجل المطاردة والمباغطة، بهدف ملاحقة الثّوار في المناطق الصّعبة³⁸.

خامساً: تبني سياسة الرّدع والعقاب؛ فقد اعتمدت روما على سياسة العقوبات القاسية في حقّ القبائل كالإعدام (Poena Capitis)، المتمثلة في قطع رؤوس القادة، بهدف بثّ الخوف والرّعب بين العامّة³⁹.

سادساً: التّحفيز المعنوي؛ لجأ مجلس الشّيوخ الرّوماني إلى منح بعض القادة أوسمة النّصر (Ornamenta Triumphalia)، كالتّتويج الذي مُني به فريوس كاميليوس (furius Camillius)⁴⁰.

سابعاً: الدّعاية النّفسية؛ سعت روما إلى تشويه صورة تكفاريناس بوصفه اللّصّ والفارّ من الجيش وعدوّ الشعب الرّوماني (Hostis Publicus)، من أجل التّقليل من قوته أمام القبائل⁴¹.

أمّا المرحلة الثّانية من الحرب، فبعد النّصر الذي حققته روما على تكفاريناس.

المرحلة الأولى، شهدت استمرار القتال بعزم كبير من القادة الرّومان، حيث واصلوا المعركة بنفس الهمة والشّجاعة، التي أظهرها القائد الرّوماني ديكيرياس (Décirias) الذي قاتل بشدّة، رغم إصابته، ومات بين رجاله، نتيجة الخلخلة التي كانت في الصّفوف الرّومانية، ما دفع القائد الجديد "لوكيوس أبرونيوس" (L. Apronius)، إلى إصدار "عقوبة التّعشير" (Decimation)، وهي من أقصى العقوبات التي طبّقت على



الفارين أو الذين خافوا من مواجهة تكفاريناس⁴² في الانضباط العسكري الذي أثمرت نتائجه إذ تمكن 500 محارب من قدماء الجيش (Veterani) من دحر قوّات تكفاريناس الذين كانوا متمركزين بحصن ثالا⁴³. المرحلة الثانية اعتمدت روما في هذه المرحلة أيضاً، على التنسيق العسكري، إذ حاول أبرونيوس وابنه كيسيانوس (Césianus) جمع القوّات: الجنود المختارون من الفيالق الذين يعدّون أحسن العناصر تدريباً (Legionarii Lectissimi)، الفرسان (Equites) الذين يعتمدون على السرعة، ويستخدمون عادة في المطاردة والاستطلاع والمناورة، إضافة إلى الكتائب (Cohortes) لدعم العمليات في القتل المباشر وحراسة المعسكرات⁴⁴.

ميّز المرحلة الثالثة من الحرب، التّراخي الكبير الذي واجهت به روما الحرب، إذ كان هدفها فقط الوصول إلى أوسمة النّصر، دون القضاء الفعلي على التّهديد، ما جعلها تفتقد التنسيق، غير أن الأمور تحولت مع وصول القائد دولابيللا (P. Dolabella) الذي أعاد تنظيم جيشه إلى أربع وحدات، مستعينا بحلفاء له قبائل المور، الذين كانوا إلى جانب بطليموس، وتمكنت من تحقيق نصر⁴⁵.

الخاتمة:

- مثّلت ثورة تاكفاريناس (17-24م) إحدى أكبر الانتفاضات النّوميديّة ضدّ الحكم الرّوماني، وقد شكّلت تحدياً حقيقياً ليس فقط من النّاحية العسكريّة، بل أيضاً من حيث قدرتها على تهديد توازن القوى داخل إفريقيا الرّومانية.

- اعتماد تاكفاريناس على استراتيجية مركبة مزجت بين التّمرد غير النظامي، والتّحالفات القبليّة، والخطاب السّياسي الرّافض للرّومنة، ما سمح له بتوسيع الرّقعة الجغرافيّة للثّورة لتشمل فئات اجتماعيّة ناقمة داخل المقاطعة، وقوى قبليّة خارجة عن سيطرة روما (المور، الجرامنت).

- حسن استخدامه للتضاريس الطّبيعيّة والتّحركات المبالغيّة، ما جعله يفرض على روما حرب استنزاف طويلة.

- تعامل روما مع ثورة تكفاريناس بمنطق استعراضي يهدف إلى ترسيخ الهيبة الرّمزيّة (triumphes, statues...) قبل أن تدرك - خاصّة في عهد - (P. Dolabella) ضرورة تبني تكتيكات غير تقليديّة، تكيف الجيش النّظامي مع طبيعة العدو المتحرك. فجاء الرّد الأخير حاسماً: تقسيم الجيش، التّحالف مع بطليموس، والمباغته الفجريّة في "معركة أورزيا"، أنهت الثّورة بمقتل زعيمها، لكن حتّى بعد النّصر، أظهرت رواية تاكيتوس أن القرار السّياسي في روما لم يكن دائماً منصفاً للكفاءة الميدانيّة، إذ حُرّم دولابيللا من شرف الانتصار الرّسمي حمايةً لمكانة بلوس "خال المقرّب الإمبراطوري".



-تكشف رواية تاكفاريناس عن صراع مزدوج: عسكرياً بين مقاومة نوميدية تتقن حرب الكرّ والفرّ والكمائن، وجيش إمبراطوري يتعلّم التكيّف. وسياسياً بين الواقع الميداني ومنطق البلاط الإمبراطوري.

-شكّلت ثورة تاكفاريناس نموذجاً فريداً في تاريخ المقاومة النوميديّة، حيث اتّخذت شكلاً منظّماً، متعدّد الأبعاد، وتمكّنت من فرض وجودها على واحدة من أعظم القوى في التّاريخ لعقديّ كامل.

الهوامش:

¹ Lassère J.M., **un conflit « Routier » : observation sur les cause de la guerre de Tacfarinas**, « *Antique Africaine* », 1982, p.11

² Lassère J.M, Op-Cit, p.12

³ Ibidem.

⁴ Ibidem.

⁵ Laporte J.P., **les voies romaines de l'Afrique du Nord**, CNRS Editions. 1981, p.157

⁶ Idem, pp.12.13.

⁷ Wolff C., **La guerre de Tacfarinas**, Publication de l'école française de Rome, 1993, Rome, 13.

⁸ Y.Le Bohec, **la troisième légion Auguste**, p.343.

⁹ Tacit, Annales, IV, 23.

¹⁰ بانونيا هي مقاطعة رومانية تقع في الجزء الأوسط من أوروبا، تغطي حالياً جزء من هنغاريا (المجر) والنمسا الشرقية، كرواتيا، صربيا، سلوفينيا. أنشئت كمقاطعة رومانية في عهد الإمبراطور أوغسطس، وتعتبر قاعدة عسكرية لتجمع الفيالق الرومانية، وتستعمل خصوصاً لمواجهة التمردات القبلية كمواجهة القبائل الجرمانية والداكية.

¹¹ Tacit, Ann, III, 9,1.

¹² Wolff C., **La guerre de Tacfarinas (17-24).faire la guerre, faire la paix**, May 2011, Perpignan, France, p.2.

¹³ معاهدة فوديس (Foedus) اتفاقية بين روما والقبائل غير الرومانية، كانوا شعوباً أو قبائل، تهدف إلى تنظيم العلاقات بين الطرفين، عادة ما كانت هذه المعاهدات تمنح للقبائل الحليفة نوعاً من الحكم الذاتي مقابل الدعم العسكري أو موارد أخرى من روما، وهي من الوسائل التي حافظت بها روما على سيطرتها. في حالة الموزولامي فإنّ معاهدة فوديس الموقعة، سمحت لهذه القبائل الاحتفاظ بالاستقلال الجزئي الذاتي، بينما قدموا لها الدعم العسكري في حروبها.

Keppie L., **The Making of the Roman Army**, Routledge, 1998, p.145.

عد إلى :

¹⁴ Wolff C., Op-Cit, p. 13.

¹⁵ Idem, p.14.

¹⁶ Tacit, Ann, IV, 23,3.

¹⁷ Wolff C., Op-Cit, p.15.

¹⁸ Rachet M., **Rome et les berbère**, p.85.

¹⁹ Tacite, Annales, II, 52,2.

²⁰ Tacit, II, 52.

²¹ Wolff C., Op-Cit, p.15.

²² Tacit, II, 52.

²³ Ibidem.

²⁴ Tacit, III, 20 ; IV, 23.

²⁵ Wolff C., Op-Cit, pp.14.15.

²⁶ Tacit, IV, 23. ; Wolff C., Op-Cit, pp.16.17.

²⁷ Tacit, II, 52.

²⁸ Tacit, III, 20.

²⁹ Tacit, III, 20 ; Wolff C., Op-Cit, p.21.



- ³⁰ Tacit, III, 73.
³¹ Tacit, IV, 20.
³² Tacit, Ann., IV, 21.
³³ Ann., IV, 23.
³⁴ Tacit, Ann., IV, 24,26.
³⁵ Tacit, III, 20 ; II, 52.
³⁶ Tacit, IV, 25 ; Wolff C., Op-Cit, pp.19.20.
³⁷ Tacit, IV, 25.
³⁸ Ibidem.
³⁹ Tacit, IV, 24.
⁴⁰ Tacit, II, 52.
⁴¹ Tacit, III, 73.
⁴² Tacit, Ann., IV, 21.
⁴³ Idem.
⁴⁴ Ann., IV, 21.
⁴⁵ Ann., IV, 23-26.

